

الإمام رضا شطا : الزعيم الروحي ذو القلب الذهبي

إذا كان للإسلام أن يُعرف في أمريكا بأنه دينُ الحب والسلام فلا بد أن يأخذ الشيخ رضا عنانَ الريادة .

البداية :

"أنا في أعماقِ نفسي دائماً أطمحُ أن أكون مواسياً لا قاضياً، فأنا لا أومن بإصدار الأحكامِ على الناس ، ويؤسفني أن أرى الناسَ يسارعون إلى الحكم علماً الآخرين وإلى اتهامهم وإيلامهم وإلى تبرير قلة التسامح مع الآخرين . " هذا ما بدأني به الشيخ كبير الاحترام زائع السيط، الذي قد وصل اسمه إلى مناشطات الإعلام الأمريكي، الإمام رضا شطا .

ولقد سمعتُ الكثيرَ من الكلامِ الطيبِ عن هذا الرجل حتى لم أعد أعرف أين الحقائق وأين المبالغات واختلط على ما يقوله معارضوه بما يقوله مريدوه و هم يكادون يحلفون باسمه . ولكن على أية حال فإن الشيخ رضا شطا إنسانٌ غير عادي، يَنفَع بالحديث معه المؤمنون والمشككون على حدٍ سواء .

" إن أئمن ما يملك المرءُ هو قلبه "

– الإمام رضا شطا

قابلت الشيخ رضا فمسَّ الرجلُ قلبي ولم يكن هذا لرقة عواظفي أو لاستعداد نفسيّ

لدى أن أعجبَ به وأؤمن بما يقول ولكنه مسَّ قلبي بالخير الذي يشع منه وبالكرم الذي عُرفَ عنه .

وُلِدَ الشيخ رضا فى عام 1968 بقريه كفر البطيخ فى شمال مصر ثم فقد أمه فى صغره وعاش حياةً متواضعةً مع أبيه وجدته ، حيث لم يكن لديهم تليفزيون أو مكيف هواء أو سخان ماء . ثم التحق بجامعة الأزهر وتخرج منها بعد 4 سنوات بمرتبة الشرف فكان ترتيبه السابع علدفعته ذات 3400 طالب . وسافر بعدها إلى السعودية كمدرسٍ للشريعة الإسلامية فواجه هناك فهماً حرفياً للإسلام، فهماً مغايراً للإسلام الذي درسه فى مصر ، خاصةً فيما يتعلق بحقوق النساء ومكانتهن ودورهن فى المجتمع المسلم .

عاد الشيخ رضا بعد ذلك إلى وطنه المصرى واتجه من أجل كسب العيش إلى تجارة الأثاث ، ومازال يصبو إلى الاشتغال بالدعوة الإسلامية ، ولكن مع تغير الواقع السياسى المصرى بدأت الحكومة فى تتبع خطى التيارات الإسلامية الاجتماعية بذريعة أن هذه التيارات يروج لها شيوخ وأئمة متطرفون .

فكانت هذه هي المعضلة الثانية التي واجهها فى طريق الدعوة، فلما ذكر الشيخ نفسه أن تدخل السلطات السياسية فى الدين وقول الحق لا يجتمعان عاد إلى قريته الصغيرة .

ثم دخلت قلبه السعادة ثانيةً حيث عُيِّنَ إماماً لمسجد بلده . وتحقق حلم الشاب صاحب الرؤية رضا شطا ذو العقل الذكى المفتوح الذي سينفعه الآن وسينفعه يوم يواجه العالم الغربى .

رضا شطا فى بلاد الغرب :

غادر الإمام مصر فى عام 2000 متجهاً إلى ألمانيا حيث استقر فى إحدى أحياء القطاع الصناعي بمدينة شتوتجارت فكانت أوروبا بمثابة نافذة كبيرة شاهد من خلالها الشيخ الشاب عالماً أكبر ، عالماً تتعدد فيه المجتمعات والأجناس وتتعايش فيه كل الأعراق فى حرية متساوية وتتمتع فيه بالحق الكامل فى حرية التعبير عن الرأي ، وهي حقوق وامتيازات لم ينالها المصريون بشكل تام . فهو يقرُّ بصراحة : " رأيت عالماً آخر ، عالماً أوسع ، بهرتني حرية الناس فى التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم وآرائهم دون خوفٍ من حبسٍ أو تعذيب . "

وبعد سنة قام برحلة إلى الولايات المتحدة حيث زار الجمعية الإسلامية فى باي ريدج ببروكلين . وكانت قد وقعت بعض التجمعات الإسلامية تحت وطأة التحريات الميكروسكوبية من قبل الحكومة منذ أحداث الهجوم على مركز التجارة العالمي ، ولم يسلم المسلمون فى باي ريدج من هذه التحريات والتحرشات التي فاضت بإمام المسجد حتى استقال . وهنا أصبح الشيخ رضا يمثل اختياراً سهلاً ليحل محل الإمام السابق .

فأختاره أهل المسجد وحبَّده علماء الأزهر فتم ترشيحه إماماً للمسجد ورئيساً له ، وقبِلَ الشيخ المنصب علناً تمنحه الحكومة الأمريكية تصريحاً بأن يأتى بأسرته من مصر إلى الولايات المتحدة . وفى عام 2002 اعتمدت القنصلية الأمريكية بالقاهرة التأشيرات اللازمة لسفر الأسرة ، وسرعان ما كانت زوجة الشيخ رضا وبناته الصغيرات الثلاث علمتن الطائرة إلى نيويورك سيتي .

" بالتسامح والمغفرة نزداد قرباً من الله "

- الإمام رضا شطا

بمجهوداته الذاتية وبقوة الحضور وشخصيته المحبوبة وبسياسة العقل المفتوح وبرؤيته البناءة للسلام وبالمساعدة المالية والمعنوية للفقراء وبتفاعله المباشر مع المسلمين الأمريكيين من المهاجرين والمسلمين فى أنحاء العالم ، بهذا كله استطاع الإمام شطا تحويل مقره الجديد إلى واحدٍ من أبرز وأنشط وأغنى التجمعات الإسلامية فى الولايات المتحدة .

وقد حدثنى المقربون منه بأنَّ كرمه وتضحياته كانا المحركين الرئيسيين لنجاح الجمعية الإسلامية بباي ريدج التي عُهدَ له بتنميتها وتحسينها . فبرغم عدم إجادته للإنجليزية استطاع التواصل مع المسلمين وغير المسلمين من مختلف الثقافات والجنسيات حوله .

ومما يثير العَجَبَ أنَّ من يمدحونه ليسوا بالضرورة من المسلمين، بل أكثرتهم من المسيحيين واليهود . فحيث كنت فى طريق رقم 5 بالقرب من المسجد سألت رجلين رأيتهما إذا كانا يعرفان أين مسجد الشيخ رضا ، فقالا فى نفسٍ واحدٍ : " طبعاً .. من هنا ستجده واضحاً أمامك " فسألتهما : " أتعرفان الشيخ رضا؟ " قالوا : " نعم ، الكل هنا يعرف الشيخ رضا . " ثم أضاف أحدهما : " رجلٌ خيرٌ طيبٌ وقلبه كبير .. " فتجرات فسألته : " أنت مسلم؟ " قال : " لا ، أنا بولندي مسيحي " فشكرته وذهبت حتى ضللت الطريق مرةً أخرى فسألتُ شخصاً ثالثاً كيف أصل إلى الشيخ رضا شطا فقال : " الإمام؟ ها هو هناك أمامك ، علناصية الشارع يكلم هؤلاء " فسألته : " أنت بولندي؟ " فردَّ على : " لا . أنا من بنجامتون ولي محل تجاري هنا " فقلت : " وهل سبق لك الحديث مع الإمام رضا؟ " قال : " لا . ولا أظن أنه يعرف الانجليزية .. أنا فقط أُسَلِّمُ عليه حين مروره فيردُّ التحية ودائماً ما يردُّها ببشاشة . فأنا معجب به . " فعرَّفت له نفسي وقلت أنا كذا وكذا فقال : " أهلاً وسهلاً ، وأنا أسمى بروس جولdstين [اسم يهودي] " ولا تعليق .

وأن كان الشيخ لا يتحدث الإنجليزية إلا أنه إمامٌ ذو ثقافةٍ عالية ، فإذا كلمك عَرَفْتَ غزارة علمه باختلاف المجتمعات وتباينها وعمق فهمه لنسيج قِيمِ الغربِ وتقاليدهم ومبادئهم ، بل لعرفت مدى إعجابه بالنظم والقوانين هنا . فهو يشيد بالأمريكيين لالتزامهم بالقانون ولبناء معاملاتهم التجارية على الفطنة والوفاء والاحتراف .

وإذا كلمك شعرت بالدفء الإنساني في أسلوب تعبيره وتركيبه للجمل عند وصْفِهِ للفرق ما بين الأمريكيان المسلمين والمسلمين العرب . وهو شيخٌ قويُّ الكلمة كثيرُ التواضع وخفيف الظل . . . فيقول الكلمة يبعثك بها عللاً بتسام ثم الضحك ، وبها يحثك على إعادة النظر في أولوياتك . فبإمكانك أن تتعلم الكثير من هذا الرجل . ويقولها بصدق ووضوح : " ليس في الأمر أمراً ، فأنا أساعدك مسلماً كنت أو يهودياً أو مسيحياً ، وما كان عندي أعطيتك منه واقتسمته معك ولا أريد منك جزاءً ولا شكوراً . "

كيف يقضي الإمام وقته؟

في الصلاة؟ لا ، وإن أدهشك هذا . فهو بالطبع قائم في صلاته عدة مراتٍ كل يوم ولكنه يقضي أكثرية وقته في حل مشاكل الناس ، حيث يطلب عونه ومشورته المدرسون وأصحاب المحلات والأطباء وباعة الهوت دوج واللصوص وأصحاب الخطايا والمدلسون والإنسانيون وأصحاب النفوس الطيبة وسائقوا التاكسي والمهاجرون والمتزوجون والمطلقون والمتسولون والغشاشون والأكفَاء ومن يعانون من فقرهم ومن أخرجوا من بيوتهم وحتى ضباط الشرطة ، فكلهم يأتون يطلبون عونه وإرشاده . وهو يتناول مشاكلهم كلها فيقول لي الإمام : " هذه السيدة هناك جاءتني باكياً بعد أن طُردت من بيتها فهي لا تعمل ولها طفلين . لم أكن

أعرف حتى أسمها ، وما عرفت عنها إلا ما قالت لي فقطّعت قلبي به ، وأبيّتُ ألا أفعل شيئاً لعونها . فما كان مني إلا أن سدّدت عنها إيجار السكن وأطعمت الأطفال . " فسألْتُ الشيخ : "أهي مسلمة؟" قال : " ما سألتها . ما رأيت إلا مأساة أسرية فوجبت على المساعدة . " وجاءتني امرأة أخرى ذات يوم فقالت أن زوجها دائماً ما يضربها ويؤذيها حتى أنها اتصلت برقم النجدة 911 وحضرت الشرطة إلي البيت ولكن بغير جدوى فذهبتُ لأكلم هذا المستبد . . . ولم أكلمه عن الإسلام أو عن أيّ شيءٍ من الدين . فقط حاولت أن أكلمه بالعقل ، حدثته كرجل عادي أمامه يهتم بحاله وبحال أسرته فلم أحاوره بصفتي إماماً ولكن بصفتي إنساناً لديه شيء من المروءة . فليس من الضروري أن تكون إماماً لتكون في خدمة الله ورسوله أو لتكون في عون الناس . فإنّ أي رجلٍ خيرٍ بإمكانه أن يكون خادماً مطيعاً لله مادام العطاء من القلب والتعامل مع الناس فيه سماحة وعدل . وهذا ما أفعله . . . فقضيت بعضاً من الوقت في اقناع هذا الرجل المضطرب بأن يعتذرَ لزوجته وأن يتعهدَ أمام الله سبحانه وتعالى بتغيير سلوكه وبأن يكون زوجاً صالحاً . وأسعدُ كلَّ السعادة عند سماعي أنهما مازالا يعيشان كزوجين سعيدين حتى الآن . "

سألْتُ الشيخ : " هلاًّ حدثتني عما تقوم به من أعمال غير هذا؟ " فقال : " إنَّ يومي حافلٌ باستقبال الكثير من الناس والاستماع لهم جميعاً ، أسمع كل من يأتيني . فاعلمُ أنّي لستُ زعيماً سياسياً ولا أنتقد أي نظامٍ من أنظمة الحكم . بل أن السياسة تُرهِّبني وتخزّن قلبي . وإن يصعب علبعض المتشددين فهم هذا ، وإن يزعمهم أن يعرفوا أنّ إماماً مثلي لا يبالي بالسياسة . فإننا لا أهتم بالمشاكل السياسية ولكنني أهتمُ بمشاكل الناس وأقضى يومي في الاستماع إلى متاعبهم . فاليوم مثلاً جاء لي رجلٌ راجياً أن أدله على امرأة تصلح له زوجة وفي عشية اليوم ذاته جاءتني زوجة تشكى ما فعل زوجها حيث جاءها بابنةٍ له من زوجته السابقة كي تعيش معها في بيتها ، ومنذ يومين جاءني من يعمل نادلاً جرسون في مطعم يسألني عما إذا كان يجوز له أن يحمل الخمر ويقدم البيرة في المطعم الذي يعمل به ، فهو مسلمٌ "

والمسلمون كما تعلم ، بالذات الصالحون منهم ، لا يشربون الخمر ولا يحملونها. " وأيضاً
جاءني رجل عربي مسلم يسألني عن جواز أن يكتب كل ثروته لأولاده أو جواز مناصفتها
بالتساوي بين زوجته وأولاده حيث تختلف الشريعة هنا مع القوانين الأمريكية الموضوعه ،
جاء يسألني وهو أمريكي الجنسية ولكنه مازال مسلماً والمسلم لابد له من اتباع الشريعة
الاسلامية . وكثير غير هذا من المسائل أتناولها كلها ، وأقضي نصيباً كبيراً من وقتي في
المستشفيات زائراً للمسلمين وغيرهم من المرضى . حتى في مرة جاءني رجل يشكو قربة له
تهوى السيارات السريعة والملابس القصيرة... " فسألت الإمام: " وهل يأخذون بما تقول يا
إمام؟" قال: " يكفي أن تعرف أنه حين تلقى الشرطة القبض على بعض الشباب المشاغب من
أهل الحي ويعلمون أنهم مسلمون فإنهم يهددونهم بإبلاغ الشيخ رضا . وهذا يخيف هؤلاء
الشباب لأنهم يعلمون أنني سأعنفهم وأضعهم تحت مراقبتي وأبلغ والديهم بما حدث . فكما
ترى ، أنا أقوم بدور المستشار الاجتماعي ... نعم إنهم يسمعون كلمتي ويأخذون بما أقول .
فإذا لقيت هؤلاء الشباب الدرس لم يعودوا إلى ما فعلوا. "

وكما جاء في ريبورتاج عن الإمام في صحيفة نيويورك تايمز أن رجال البوليس هنا
يستعملون نفوذ الشيخ في عملهم فهم يهددون الشباب المشاغب بأنهم قد يأخذون إلى
المسجد بدلاً من قسم البوليس . يقول السيد راسيل كين ، شرطي متقاعد كان يعمل بقسم
68 : " كان الشباب يسمع منا هذا فيقولون : " لا! إلا الشيخ... إنه سوف يبلغ والدي... "

إمام جديد في العالم الجديد :

يفهم الشيخ تمام الفهم الفرق الشاسع بين أسلوب الحياة الأمريكية وبين شرائع الحياة
الإسلامية . وإن كان ولاؤه للإسلام شريعةً وفقهاً فهو يقبل الواقع العملي في القوانين

الأمريكية التي يمثل لها المسلمون هنا وعليهم الالتزام بها .

فبذكائه ولطافته وبتفسيره وفهمه لروح الشريعة الإسلامية يحاول الإمام رضا الإفتاء بما هو عدلٌ وما هو عمليٌ لمن يعيش في الولايات المتحدة . فمثلاً إذا كان لا يجوز لمسلم أن يلمس الخمر أو الخنزير في عموم الأحوال ، يباح هذا له إذا كان يعمل في مطعم ولا يجد عملاً آخر ، إذا كان قوته يعتمد على العمل في مطعم تُقدّم فيه هذه الأشياء .

ثم سألتُ الشيخ عن أمر النساء اللاتي لا يرتدين الحجاب ، هل يسمح الشيخ بهذا؟ فقال : "يجوز للمرأة المسلمة خلع الحجاب إذا ظنّت أن حياتها في خطر إذا لم تخلعه ."

حوار صريح مع الإمام رضا :

سؤال : إلى جانب إمامة الصلوات ، ما هي أشكال المساعدة التي تقدمونها للمحتاجين؟
الإمام : كل أشكال العون والمساعدة المالية . فمثلاً إذا لم تقدر على دفع إيجار المسكن دفعناه عنك ، إذا فقدت وظيفتك نحاول الاتصال بصاحب العمل للاستفسار عن السبب . وإقناعه بإرجاعك للعمل فإذا لم يكن سعيّاً لإيجاد وظيفةٍ أخرى لك في أقرب وقت . إذا لم تدفع الكهرباء أو الماء دفعنا الفاتورة ، إذا مرضت دفعنا رسوم المستشفى إذا احتاج الأمر . أما إذا كانت المشكلة قلة التدريب المهني وفرنا لك ذلك وأرشدناك إلى سبيل البحث عن عمل . وإذا كنت مهاجراً جديداً هنا استضيفناك في بيوتنا وإذا كانت ثمة مشكلة لك مع أخٍ أو زوجة أو زوج أو أحد أبويك أو مع أحد أبنائك توسطنا لحلها ولإيجاد التفاهم بين الناس وللبحث عن الألفة والسعادة الأسرية . وكذلك إذا أردت الالتحاق بكليةٍ أو جامعةٍ ولا تقدر على الرسوم

وتكلفة الكتب قُمننا نحن بهذا . فأفضل فضائل الإنسان كرمه فأنت إذا أعطيتَ الناسَ أعطاك الله وإذا عفوتَ عن الناسِ عفى الله عنك .

سؤال : إذن أنتم فى عون كل مسلمٍ يحتاج إلى يد المساعدة؟

الإمام : نعم . وأنا فى خدمتهم ولكن تعدو مساعدتي محيط المسلمين إلى أي إنسانٍ أياً كان دينه . فالصدقة ليست حكراً على دين دون آخر ولا يقتصر العمل الصالح على أبناء دينٍ معين دون غيرهم . فعقيدتي أن المسلمين والمسيحيين واليهود جميعاً عليهم اقتفاء الصالح من الأعمال ، ولهذا أساعد المسلم وغير المسلم .

سؤال : تَرَكَتْ مأساةً 11 سبتمبر آثاراً وعواقب مؤلمة فى المجتمع الإسلامى ، أليس كذلك؟

الإمام : صحيح ، فنحن مجروحون . فقد عانينا كمجتمع إسلامي هنا الصعوبات والتعديّات . ولا أُلوم فى ذلك الشعب الأمريكى كله ، فأنا متفهمٌ لما يشعرون به وأنا لا أنادي باستعمال العنف ، فالعنف لا مبرر له . ولكن لا بد من فتح الحوار المباشر المصالح مع كل الناس حتى نبدأ فى أن يأمنَ بعضنا البعض . وصدقني ، ليس كل المسلمون إرهابيون . وأنت كما عرفت أكثر عن الآخرين كما تبين لك أن الظن والجهل بالناس هدّامٌ مدمرٌ . إنك إذا أدركت كيف يعيش الآخرون وكيف يفكرون ويبكون ويضحكون ويحزنون ويفرحون وكيف أن لهم مثلاً علياً وقيماً سامية لاندَهشت لاكتشافك أن الفروق بيننا تكاد تكون معدومة . بل أن هناك من الفضائل الكثير مما يجمعنا ، كصدق العواطف والعطاء . وتربطنا أواصر القيم العائلية وفنونٌ وثقافةٌ والاحترامُ والكرامة . فالإسلام يماثلُ العديد من القيم اليهودية والمسيحية ويحترم رسل اليهود ويحترم المسيح عيسى عليه السلام . ويُقر الإسلامُ ما جاء به رسلُ بني إسرائيل . ثم أن كثيراً من المسلمين يدعونُ بأسماء أنبياء اليهودية كإبراهيمَ ويعقوب ، وفى القرآن ما يملأ صفحاتٍ وصفحاتٍ عن السيِّدة مريم أم عيسى عليهما السلام .

فالمسلم يقول "ستنا مريم" ويؤمن بأن عيسى كلمة الله وروح منه ، غير أن كل البشر عند الله أخوة .

سؤال : إذن ما نلوم يا إمام؟

الإمام : إنَّ العنف مرفوض . فهو شرٌّ يهدد المجتمعات ويفرِّق الأُحبة ويزرع الكراهية ويعطل الأمن ويُرْوِع الآمنين ويسلبُ الناسَ سعادتهم . ولقد أُصِبت وأُصِيب كثيرٌ من المسلمين بالحنن والصدمة من جرّاء مأساة 11 سبتمبر التي ذَهَبَت بأرواح الكثير من الأبرياء ومن بينهم مسلمون . . . من نلوم؟ نلوم من قام بهذه الفعلات التخريبية الفادحة أينما كانوا . ولكن أستحلفك بالله ألاّ تتهم كل مسلمي أمريكا .

سؤال : ما هي السعادة في نظرك؟

الإمام : السعادةُ تبدأ من الأسرة . أعطني أسرة سعيدة أعطيك أمةً سعيدة . فالأسرة هي العمود الفقري لكل شعب ، والأسرة السعيدة نواة المجتمع السعيد . والسعادة تبدأ بحب واحترام الوالدين والدين لهما بالولاء والوفاء ثم يأتي احترام المعلمين فهم جزء من الأسرة ثم توقّر الكبار لما قدموه في شبابهم ثم تُبجّل الإمامَ القسّ والحاخام لما يُعلّموك من قيمٍ أخلاقية وهم أيضاً من الأسرة ، ثم تحترم رجالَ الشرطة والقانون لما يوفرونه من أمنٍ لمجتمعك وأمانٍ لأهلك وأبنائك ولتضحيتهم بحياتهم من أجل حماية حياتك فهم من الأسرة أيضاً . ثم تحترم وتقدّس وطنك ، فالوطن يجمعك بالآخرين ويمنحك العزة الوطنية ويحدد هويتك . هذه هي السعادة هي الاحترام والحب غير المشروط ومساعدة الآخرين والترحاب وسعة الصدر للناس . وإنّي أتعلّم هذه القيم كلها من الإسلام . فهكذا يُعلّمنا الإسلامُ الحب ويهدينا سُبُلَ السعادة والسلام .

هذه كلمات الحكمة والحب أتت من قلب الإمام رضا شطا ومن فمه . مما جعلني أوقن
أنه إذا كان للإسلام أن يُعرف في أمريكا بأنه دين السلام والحب فلا بد للشيخ رضا شطا أن
يكون في المقدمة .